بات مؤكدا أن النمو الـديموغرافي (la croissance démographique) المرتفع في العالم يشكل عبئا ثقيلا لا يستهان به على وتيرة التنمية الاقتـصادية (le développement économique) وبالتالي، مصدر ضغط وتوتر على الاقتـصاد وجميع المرافق الاجتماعية، بفعل آثاره السلبية، والعالم اليوم يقـف علـى دربـين متوازيين، فالعالم المصنع والذي تتوفر لديه كل الإمكانات المعيشية العصرية يشتكي من انخفاض نسبة المواليد لديه ما جعله يخاف من الانقراض، بينما في الجهة المقابلـة يقف العالم الثالث (le tiers monde) الذي هو في طريق النمو، والذي يتلقى جزءا كبيرا من موارده المعيشية عن طريق الاستيراد، يشتكي من الانفجار الديموغرافي ممـا يجعله يتوجس الخوف من المستقبل ومزالقه المجهولة.

ويجب أن نعترف بأن الزيادة الـسكانية في دول العـالم تـدفعنا للتأمـل برهة.حيث يبلغ عدد سكان العالم اليوم حوالي **ستة مليارات نسمة**.ومن المتوقع أن تظل الزيادة السنوية خلال الخمسة عشر عاما القادمة أكثر قليلا من (80) مليـون نسمة (**أي مليار نسمة كل12-13سنة**) ، ووفقا لتقديرات الأمم المتحدة قد يصل عدد سكان العالم سنة (2050م) إلى ما يتراوح بـين (7,7) و (11,2) مليـار نسمة، وبالتالي، فالفجوة لا تزال بعيدة، وغير متوازنة ومنسجمة بين وتـيرة النمـو الاقتصادي (le développement économique) والنمو الديموغرافي.

لقد أصبح من **الأهمية** بمكان، أن التخطيط للتنمية مدعو إلى الاهتمام بكـل الضغوط المادية والمالية والبشرية التي تعترضه، وبالتالي، مدعو إلى الاهتمام بصفة أولية

بالسكان أنفسهم، بالتحكم في الثوابت الجوهرية التي يتحلون بها سواء في صورها الراهنة أو في الصور التي يأخذونها في التطور المستقبلي على المدى المتوسط والبعيد.

وبدون مواربة، يمكن القول بأن النسبة المرتفعة من النمو الديموغرافي المسجلة في العالم تشكل بكل تأكيد إحدى المصادر الرئيسية للتوترات حيث إنها كانت السبب في الضغوط المستمرة على النظام الاقتصادي المتمثل في تسديد المطالب من الموارد والخدمات.

صحيح أن التوترات التي قد تعرفها دول العالم الثالث (le tiers monde) لاترجع إلى النسبة المرتفعة للنمو الديموغرافي في حد ذاتها، إذ نجد مصدرها كذلك في أسباب أخرى هيكلية وظرفية، ولكن هذا لا يمنع من أن النمو الديموغرافي يشكل بما لاريب فيه عبئا ثقيلا ومباشرا على وتيرة تنمية اقتصاديات العالم الثالث (le tiers monde) ، والتي يمكن ان تكون ثمارها بعد فترة من الزمن رهينة له.

ولعل في مقدمة الآثار السلبية للتزايد الديموغرافي هو تزايد مدا خيار العائلات، فإن استهلاك المواد الغذائية سوف يعرف في الفترة القادمة تغيرات كبيرة سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف لدول العالم الثالث (le tiers monde).

إن الولايات المتحدة وكندا يغطيان وحدهما (90%) من السوق الدولية من القمح الصلب محتلين بذلك موقعا احتكاريا يمكنهما من ممارسة سلطة اقتصادية وسياسية، وفي عالم يتسم بعدم الاستقرار، وتشكل الأزمة الاقتصادية والجوع عبر العالم الثالث (le tiers monde) عوامل لتوتر خطير، فهذه العوامل البالغة الخطورة ينبغي أن تكون درسا للدول السامية، وأن تدفعه خاصة بعد فشل التنمية تحت إشراف

الأمم المتحدة، واستمرار لعبة شد الحبل بين الشمال والجنوب تتطلب من دول العالم الثالث (le tiers monde) تكييفها مع راهنية العصر واعتمادها على مبدأ الاعتماد على النفس، وتكثيف **التعاون جنوب–جنوب**.

وإذا استمرت المعدلات السكانية المرتفعة على حالتها، فإن عدد سكان العالم حسب تقديرات المحللين التابعين للأمم المتحدة في توقعاتهم على المدى المتوسط أن يزيد سكان العالم إلى ما يتراوح بين عشرة وأحد عشر مليارا أي بزيادة على عدد سكان الكرة الأرضية في الوقت الراهن أي يقل قليلا عن ستة مليارات.

إن العالم لايزال خطه البياني الديموغرافي في تصاعد مستمر.ويتزايد بمعدلات قياسية، فنحن نزيد بما يساوي عدد سكان مدينة نيويورك كل شهر، وما يساوي عدد سكان دولة المكسيك كل عام، وما يساوي عدد سكان الهند كل عقد من الزمان، غير أن معدل النمو يتباطأ، خاصة أيضا، إذا علمنا أن فترة **الألفية الثالثة** حاضرا ومستقبلا تشهد التمرير الهادئ لآليات وأدوات العولمة (la mondialsation) ، وكأني بها تدس"**السم في العسل**"، وها هي تناقضات "**العولمة المتوحشة**" (**la mondialsation**) تظهر سلبياتها في "**منتدى دافوس**"**و مؤتمر سياتل**"، وتحولت مدينة"**سياتل**" إلى ساحة قتال حقيقي، حيث وصل عدد المتظاهرين إلى نحو مائة ألف متظاهر، مما اضطر السلطات الأمريكية إلى الإعلان عن"**حالة الطوارئ**"؟!.

إن التحولات إذن جذرية، وخلال العقد المقبل من المنتظر أن تضيف كل من الصين والهند لكوكبنا نحو عشرة أمثال الزيادة البشرية في الولايات المتحدة، لكن

الضغوط على العالم الطبيعي الذي سيتسبب فيه الأمريكيون الجدد سوف يتجاوز ما يتسبب فيه الصينيون والهنود مجتمعين.ومن المنتظران يزيد مايتسبب فيه (57,5) مليون نسمة يمثلون الزيادة في الشمال من انبعثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري عما **تتسبب الزيادة السكانية في الجنوب التي من** المتوقع أن تبلغ نحو (900) مليون نسمة، وهو رقم صاروخي بكل المقاييس!!.

عبد القادر رزيق المخادمي

باش جراح (الجزائر) :1425هـ = 2004م

obeikandl.com

يشهد العالم راهنينا ارتفاعا في خطه البياني حول ظاهرة النمو الديموغرافي (la croissance démogaraphique) ، ويخطيء من يظن أن هذه الظاهرة محصورة في دول العالم الثالث (le tiers monde) أوما اصطلح عليه تهذبا بالدول النامية (les pays en voie de développement) مع الإقرار أن الدول النامية (les pays en voie de développement) تحتل الصدارة، لكن هذه الظاهرة بالكاد لاتسلم منها أية دولة من دول العالم مهما تفننت في ضبط وتنظيم السكان، ومهما فسرت كل دولة هذه الظاهرة فإن التزايد السكاني سيبقى إحدى العوامل المخيفة التي تخشاها الأمم وتحسب لها الهيئات السياسية ألف حساب لعلاقتها بالجانب التنموي وأثر ذلك على حياة المجتمع في شتى مناحي الحياة.

وبنظرة هادئة على خريطة العالم السكانية يتبين لنا جليا أن كوكبنا مقبل على وضع ديموغرافي رهيب قد تكون له نهاية البشرية من جراء العلوم الدقيقة في عالم التكنولوجيا في قادم السنوات.وهذا باستعمال هذه التكنولوجيا بصورة مدمرة، وذلك بإبادة الجماعات البشرية بحجة البحث عن مناطق الحياة.

لقد شهد كوكبنا الأرضي، عبر حقب مضت تطورا في عدد السكان منذ أقل من (175) سنة مضت حوالي (100) مليون نسمة، وفي سنة (1930م) قفز هذا العدد إلى (2000) مليون نسمة ليصل في سنة (1960م) إلى (3000) مليون نسمة، ثم يقفز من جديد إلى حوالي (4000) مليون نسمة في سنة (1976م) ، أي أن عدد سكان العالم قد زاد بحوالي (300) مليون نسمة ثم زاد بحوالي (700)

مليون نسمة في الـ (200) سنة التالية، وفي خلال الفترة الممتدة ما بين (1800م-1930م) زاد عدد سكان العالم بـ (1000) مليون نسمة، ثم تزايد سكان العالم خلال الفترة الممتدة مابين (1930م-1960م) بـ (1000) مليون نسمة، ليقفز عدد سكان العالم بعدئذ إلى (1000) مليون نسمة في حوالي (15) سنة فقط أي بعد سنة (1960م).

ويقدر الخبراء أن عدد سكان العالم قبل استقرار الجنس البشري في الزراعة أي منذ حوالي (8000) سنة مضت كان لايزيد عن (10) ملايين نسمة بأي حال من الأحوال بل لعله كان أقرب إلى (5) ملايين نسمة فحسب.

فقد ترتب على ظاهرة النمو الديموغرافي (la croissance démogaraphique) - الذي لم تشهده الأرض من قبل- عدة مشاكل بات من الصعب على العالم، لكن إيجاد الحل الدائم والناجع لها خاصة إذا علمنا أن رقعة الأرض الزراعية في انحسار دائم بفعل ظاهرة التصحر والجفاف وعوامل التعرية وكذلك محدودية حجم المواد الأولية (les matiéres premiéres) الباطنية.وقد برزت عدة نظريات ومحاولات من طرف المهتمين بهذه الظاهرة وتقديم اقتراحات وصيغ عملية من شأنها أن تخفف من حدة هذا النمو المتزايد، لكن دون جدوى و لم تبلغ الهدف المنشود، بل تفاقم الأمر وزاد سوءا.

وقد اختلفت رؤى الباحثين حول التوزيع السكاني واتجاهاته المتوقعة وبرز نتيجة ذلك اتجاهان:[1]

---

[1] الشعب(صحيفة جزائرية) ،العدد30378مايو سنة1978.

- الأول:ينظر إلى الكثافة السكانية (la densité de la population) باعتبارها معرقلا للتنمية الاقتصادية، وقد دافع مالتوس (MALTUS) عن هذا الاتجاه في مقال له نشره في سنة (1798م) ، يرى فيه أن هناك تناسب عكسي بين تكاثر السكان، وتزايد الإنتاج، وتوفر الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية، وحسب رأيه كلما تضاعف عدد السكان تناقصت نتائج المجهودات المبذولة لترقية المجتمع وتطويره وقد أخذت بهذا الرأي بعض الدول النامية (les pays en voie de développement) في إفريقيا وآسيا، وحتى بعض الهيئات الدولية المعنية بشؤون العالم الثالث (le tiers monde).

- أما الاتجاه الثاني فيعتبر الكثافة السكانية (la densité de la population) ثروة وأساس كل الثروات الأخرى، ينبغي الحرص عليها ومضاعفة كمها والعناية بكيفها، واعتبار الوجود الحضاري للأمة يتوقف إلى حد بعيد على طاقتها السكانية، ففضلا عن حضورها السياسي البشري الذي يزداد قوة وهيبة كلما أمكن التحكم في تنظيمه ورسم الأهداف الطموحة له، يمكن أن تلعب هذه الدولة دورا قياديا على مستوى جهوي أو قاري وهذا لن يتم إلا إذا توافرت الكثافة السكانية (la densité de la population) التي تسمح بذلك.

وكلنا يعلم أن أثقل بقعة في العالم اكتظاظا بالسكان هي جنوب شرق آسيا بلا منازع، تنال منه جمهورية الصين الشعبية الصدارة، ويناهز سكان الصين مايفوق (900) مليون نسمة، جلهم يتجمعون على ضفاف الأنهار.

في مقابل الصين نجد اليابان الذي هو عبارة عن أرخبيل من الجزر تغلب عليه صفة الارتفاعات، ويعيش على مساحة اليابان حوالي (120) مليون نسمة يحترفون بحرف الصناعة والصيد البحري ثم الزراعة والمهن الحرة، علما أن مساحة اليابان لاتتجاوز الـ (372,154كلم2) بالمقارنة مع مساحة الجزائر (2381000كلم2).

إن هذين العملاقين لاينظران إلى التزايد السكاني نظرة تشاؤم وخطر بل إنهما يريان ذلك من الأمور البسيطة والطبيعية بشرط أن تسخر الزيادة هذه لاستغلال الثروات الجوفية وتسوية الجبال وتدريجا وتحويلها إلى سهول زراعية ومد شبكات المياه وتنظيم الري.

ومن خلال استقرائنا للتاريخ- في فترات متفاوتة - نرى كيف أن شعوبا صغيرة العدد واجهت تهديدا متكررا بالغزو الإبادي من طرف قوى أجنبية متربصة بها، أو واجهت مشكلة التناقص التلقائي الذي يؤدي إلى نفس النتيجة، وبالتالي، ليس غريبا أن تلجأ بلدانا صغيرة المساحة قليلة الموارد الطبيعية بكل الوسائل المتاحة على تنمية كثافته السكانية، وهي تتبع عن كثب ما يحدث من اختلال بينها وبين جيرانها كما هو الحال بين فرنسا وألمانيا وبريطانيا وهي بلدان لاتتجاوز مساحتها ومواردها الطبيعية مجتمعة الجزيرة العربية والسودان.

إن النظرية المالتوسية التي أعجب بها البعض لم تطبق أبدا في البلدان التي نشأت فيها، والدليل على ذلك أن أوروبا قد عرفت انفجارا سكانيا لم يسبق له مثيل خلال القرن التاسع عشر مما جعلها تندفع لتوسيع مجالها الحيوي وخوض حروب

طاحنة للاستيلاء على مساحات شاسعة والاستيطان فيها، وبالتالي، فالمالتوسية من هذه الزاوية تعتبر الوجه الثاني لمبدأ العرض والطلب عند (آدم سميثA.SMITH) ، فقد أدى ظهور الصناعة وتمركزها في المدن إلى تجمع حشود كبيرة من العمال، أصبحوا بمرور الأيام يمثلون قوة سياسية واقتصادية تهدد طبقة الرفاه التي تحتمي بالقلاع وتستغل العبيد وتهدد كذلك البرجوازية الناشئة التي تنظر إلى العمال باعتبارهم **أفواها شرهة** تستهلك الدخل الوطني، وأن تزايدها المستمر قد يؤدي إلى انقلاب في التنظيم الاجتماعي السائد وهو ماكاد يحدث في (كميون باريس) وما وقع فعلا لروسيا القيصرية.[1]

إن تزايد سكان كوكبنا اليوم ليلا ونهارا، شتاء وصيفا، ربيعا وخريفا، بمعدل شخص واحد كل ثانية (**والآن ثلاثة بالثانية**) يتطلب منا اطعامهم جميعا.نحن نعيش اليوم في ساعات حاسمة من ساعات الإنسانية، في ساعة الصراع بين الخبز والذهب.**فالخبز يرمز إلى الطمأنينة** والأمن للجميع، وفي الوقت نفسه، **يرمز الذهب إلى المضاربة والخصام والحروب**، وليس لنا هامش في اختيار الطريق.فإما أن ننقذ العالم بتوفير الخبز لهم جميعا، وإما سنموت تحت الذهب الذي جمع على حساب جوع ثلثي عدد إخواننا في الإنسانية.

[1] الجيل،العدد5مايوسنة1986م، نيقوسيا،قبرص.